

الأب دُني ماير اليسوعي

## أبعاد لاهوتية للتربية الإغناطية

٦٠ ص. بيروت: دار المشرق، ٢٠٢٢.

(ISBN: 978-2-7214-5636-6)

للتربية اليسوعية شهرة عالمية. وأساليب التربية الحديثة استوتحت من هذه التربية سمات كثيرة، فمنهجتها، وأطلقت عليها تسميات، ودعمتها بأسس نفسية واجتماعية...

ظهرت هذه التربية اليسوعية قبل حوالي خمسمائة عام بشكل عفوي، إن جاز لنا التعبير. إنها نبتت من حياة اليسوعيين الروحية المرتبطة بروحانيتهم ذات السمة الأنسية. روحانية تعتبر الإنسان، بجميع أبعاده، خليفة الله، ومدعواً بجميع أبعاده إلى النمو ليمجد به اسم الله القدوس. وحيث إن الإنجيل هو أساس كل روحانية مسيحية وكل سلوك مسيحي، فإن الأسلوب التربوي اليسوعي ينبع من روحانية القديس إغناطيوس، مؤسس هذه الرهبنة، التي تركز بدورها إلى الإنجيل. بتعبير آخر: للتربية اليسوعية أسس لاهوتية. وهذا ما حاول الأب الدكتور دُني ماير إظهاره في هذا الكتيب، الذي هو في الأصل محاضرة ألقاها في الجامعة اليسوعية لمناسبة السنة الإغناطية ٢٠٢١-٢٠٢٢.

الكتاب مطبوع بلغتين، الفرنسية والعربية. فيه يتناول الكاتب موضوعه من زاويتين: التربية منهجاً، والمرابي شخصاً يترجم المنهج فيحوّله إلى واقع. في مجال المنهج، يتوقف الكاتب عند موضوعين: الحرية، وصبر الله. فقد خلق الله الإنسان حرّاً، ولكنه كمرّب إلهي، وضع لحرية الإنسان حدوداً (الشجرة المحرّمة) غايتها حماية الحياة لا القمع أو إثارة الاستياء. والتربية اليسوعية على الحرية تقوم على هذه القاعدة. أي إنها لا تسعى لحصر المترابي في الالتزام بالمسموح والامتناع عن الممنوع، بل تريد أن تنمي فيه قدرة على اختيار ما هو أصلح بوعي وإدراك عميقين. هذه التنمية عملية شاقّة، ولا بدّ للسقطات من أن تتخلّلها. فينبغي ألا يكون للإخفاق الكلمة الأخيرة. وعلى المرابي أن يتحلّى بالصبر، وخصوصاً أن يحترم إيقاع تقدّم المترابي، وهو إيقاع يختلف من شخص إلى آخر، ومن هنا تأتي سمة الشخصنة في التربية اليسوعية. فهذه السمة تقول: كل إنسان قادر على النمو والتحوّل، والمسألة ليست مسألة وقتٍ وصبر وحسب، بل مسألة إيمان أيضاً. إيمان بأنّ هذا الشخص الذي أمامي، بكلّ الضعف الذي يُظهره، قادر على النمو والإبداع وتخطّي العقبات، وعلى الالتفاف لمتابعة التقدّم إذا ما عجز عن عملية التخطّي. فالمهمّ ليس نقطة الوصول، بل السير الدائم إلى الأمام بحسب شعار الكشافة: «دوماً أحسن».

في الكلام على المرّي، يبدأ الأب دُني بالتأكيد على أنّه ما من تربية من دون سلطة. لعلّه، وهو الذي من أصول فرنسيّة، يلمز بعض الشّيء إلى التّيّارات التّربويّة التي تشدّد على ترك الطّفل على سجيّته، وإزالة «نير» السّلطة عنه إزالة تامّة. ولكن، يجب ألاّ تُمارس السّلطة من الخارج وتُقرض على المترّي فرصاً، بل من الدّاخل، بوساطة الحوار الذي غايته فتح أذهان المترّي ومساعدته على بناء قناعات تجعله يلتزم بالفعل الأخلاقيّ لأنّه يرى فيه خيراً له، وليس لأنّه يخشى العقاب إذا خالفه. ويذكر الكاتب قصّة ابني زبدي حين أتت أمهما تطلب من يسوع المكان الأوّل لولديها، فلفت يسوع انتباه ابنيها إلى ما كان غائباً عن عيونهما: هذا المكان له ثمن باهظ وهو العذاب والدّم. وحين رأى أنّهما يوافقان على دفع الثّمّن «بطيش الحماس»، أجاب بتواضع: حسناً، هذا هو الثّمّن، ولكنني لا أضمن إن دفعتماه ستتالان ما تطلبانه بالضبط، فالمكان الأوّل قرار من الله وحده.

الكتاب بوجه عامّ يجمع بين البساطة والعمق. فالكاتب يتنقّل من حدثٍ إلى حدثٍ في حياة يسوع ليستخلص من هذه الأحداث سماتٍ تربويّة التزم بها اليسوعيّون، وكوّنوا على أساسها الأجيال. ولعلّ خير خلاصة لما شرحه الكاتب في كتابه قول يذكره للأب بيتر هانس كولفناخ، الرّئيس العامّ السّابق للرهبنة اليسوعيّة، يلخص فيه التّربية اليسوعيّة على النّحو الآتي:

«إنّ السّعي وراء النّموّ الفكريّ لكلّ طالب، ليصل إلى كامل مستوى المواهب التي أعطاه الله إيّاها، يظلّ هدفاً يميّز التّربية اليسوعيّة. ومع ذلك، لم تهدف هذه التّربية إطلاقاً إلى تكديس المعارف أو الاستعداد لممارسة مهنة، مع أنّ هذا كلّهُ ضروريّ لقادة الغد المسيحيّين. فالغاية النّهائيّة للتّربية اليسوعيّة هي بالأحرى النّموّ الكامل للشّخص الذي يقوده المرّي كي يستلهم من الرّوح القدس ويعمل بالمرجعّيّة إلى يسوع المسيح ابن الله، "الإنسان من أجل الآخرين"».

الأب سامي حلاق اليسوعي\*

---

\* راهب يسوعيّ، وأستاذ في جامعة القديس يوسف - بيروت. له مؤلّفات وترجمات عدّة منشورة، بالإضافة إلى مقالاتٍ بحثيّة في مجلّة المشرق.